أَنا وَعائِلَتي

مِنْ وَلاءٍ مُزْدَوِجٍ إِلى اِنْتِماءٍ مُنْسَجِمٍ

تَلْمَذَةُ المُؤْمِنينَ بالمَسيحِ مِنْ خَلْفِيَّةٍ غيرِ مَسيحِيَّةٍ
وَقَضايا الاِنْتِماءِ وَالهُوِيَّةِ

عَبْدُ الكَريمِ زَيْنُ الدِّينِ

الفهرس

الإهداءُ والشكرُ ٧

رأيٌ عنِ الكتابِ ٩

مقدِّمة ١١

قِصَّتي ٢٣

أهمِّيَّة الكِتَاب ٢٧

ملخَّص الفصول ٣١

الباب الأوَّل ٣٣

الفصل الأوَّل: محمَّدُ والقرآن ٣٣

مُقارباتٌ مختلفةٌ لمحمّدَ والقرآن («طيف وعاده») ٣٥

النهج الهجوميّ (م٥) ٣٧

النهج الدفاعيّ (م٤) ٤٢

النهج الإعلانيّ (م٣) ٤٣

النهج التعايشيّ (م٢) ٥٢

النهج التوفيقيّ (م١) ٥٥

الفصل الثاني: الانتماء ووُجهات النظر بشأن هُوِيَّة تلاميذ المسيح ٥٩

فَهْمُ الهُوِيَّة العَلْمانيّ ٦٢

الانتماءات المزدوجة: التعريف والإمكانات والتحدِّيات ٦٦

الهُوِيَّة المسيحيَّة: مفهوم الكتاب المقدَّس ٧٥

الهُوِيَّة المسيحيَّة في سِفْر أعمال الرسل ٧٨

الهُوِيَّة المسيحيَّة وَفقًا لبولس الرسول ٨١

الهُوِيَّة المسيحيَّة: فَهْمٌ لاهوتيّ ٨٤

الهُوِيَّة الشخصيَّة المسيحانيَّة ٨٥
الهُوِيَّة المسيحيَّة الجماعيّة ٨٩
الإرساليَّة: ٩٢
الملكوت: ٩٤
الثالوث: ٩٥
ملخَّص وملاحظاتٌ ختاميَّة ٩٧
الفصل الثالث:
وُجهاتُ نَظَرٍ بشأن علاقة تلاميذ المسيح بالكنيسة وبالعائلة ٩٩
نموذج «الطيف-سي» (C-Spectrum) ١٠٠
حركة المُؤْمِنين داخل المجتمع (Insider Movement) ١٠٨
أربعة نماذجَ بارزة ١٢١
نموذج التلمذة ١٢١
نموذج الملكوت ١٢٣
نموذج التجسُّد ١٢٥
النموذج الإعلانيّ ١٢٧
خاتمة ١٢٩
الباب الثاني ١٣٣
مقدِّمة ١٣٣
أسئلة المقابَلة ١٣٦
البيانات المنظَّمة ١٣٨
الفصل الأوَّل: محور الانتماء إلى العائلة ١٤١
الفصل الثاني: محور «محمَّدَ والقرآن» ١٥٥
الفصل الثالث: محور الانتماء إلى الكنيسة ١٦٧

الفصل الرابع: ماذا بَعْدُ؟ الاستنتاجات والفرص والتداعيات ١٧٥
الاستنتاجات: ماذا بَعْدُ؟ ١٧٦
الاستنتاج الأوَّل:
عوامل قَبول تلاميذ المسيح من قِبَلِ العائلة والكنيسة ١٧٧
الاستنتاج الثاني: عوامل قَبول تلاميذ المسيح بعضهم لبعض ١٨٠
الاستنتاج الثالث:
الرفض العائليُّ في السياق اللبنانيِّ هو طريقٌ ذو اتِّجاهين ١٨١
الاستنتاج الرابع: تتمتَّع الكنائس بالخبرة في قَبول تلاميذ المسيح ١٨٣
الاستنتاج الخامس: يُثَمّنُ تلاميذ المسيح قَبولَ عائلاتهم لهم ١٨٥
التأمُّلات الكتابيَّة واللاهوتيَّة في الاستنتاجات ١٨٦
نظرةٌ إلى الأمام: سُبُلٌ إلى مزيدٍ من البحث ١٨٩
الآثار: ماذا الآن؟ ١٩٣
الآثار المترتِّبة على تلاميذ المسيح لبنانيَّة ١٩٣
تَطَلُّعاتٌ واقعيَّة ١٩٤
النماذج المُمْكِنة ١٩٥
التحلِّي بالصبر ١٩٧
الآثار المترتِّبة على الكنائس الإنجيليَّة اللبنانيَّة (وكنائسَ أُخرى) ١٩٧
اطلُبْ أَقَلّ ١٩٨
شارِكِ المكان ٢٠٠
الثبات في المسيح ٢٠١
مزيدٌ من التكشُّف ٢٠١
ملخَّص ٢٠٢
«نحن جميلون: البطَّة القبيحة في وسطنا» ٢٠٣

الملاحق ٢٠٥
الملحق الأوّل: استبيان TAIM ٢٠٥
الملحق الثاني: دراسة حالة: «إيمانُ» و«ريتَّا» ٢١٠
الملحق الثالث: دراسة حالة: «عليٌّ» و«بطرس» ٢١٦
قائمة المصادر والمراجع ٢٣٢

قِصَّتي

يخشى الأولادُ عادةً عودتَهم إلى المنزل عندما يَحْصُلون على درجةٍ متدنِّيةٍ في امتحان مادَّةٍ دراسيَّةٍ ما، أو عندما يتشاجرون مع صديقٍ ما. أمَّا أنا فقد كنتُ أخشى عندما كنتُ مراهقًا أنْ يسألَني والدِي عن إيماني. كان والدِي، وما يزال، مُسْلِمًا طيِّبًا ملتزمًا. وكنتُ قد قرَّرْتُ عندما كان عمري ثلاث عشرة سنةً أنْ أضعَ ثقتي في المسيح وأَتْبَعَه ما حييتُ. لَمْ أُدرِكْ حينها مدى ثِقْل تَبِعات كوني أصبحْتُ من تلاميذ المسيح!

في عام ١٩٩٧م انضممْتُ إلى كنيسة الناصريِّ الإنجيليَّة في بيروت. وبصفتي أحد أتباع المسيح من خلفيَّةٍ لبنانيَّةٍ مُسْلِمة، واجهْتُ على الفور تحدِّيًا يتعلَّق بمسألة المحافظة على علاقةٍ صحِّيَّةٍ مع عائلتي المُسْلِمة من جهة، ومع مجتمع كنيستي من جهةٍ أُخرى. قَدَّمَ لي راعي الكنيسة حينها الكثيرَ من النصائح الرشيدة لمساعدتي على مواجهة تحدِّيات الانتماء المزدوج، وذلك من دِوْن المساس بإيماني في شخْصِ المسيح ومن دِوْن مهاجمة عائلتي المُسْلِمة ومعتقداتهم الإسلاميَّة أيضًا. وقد شَكَّلَتْ نصائحُه الحكيمة طريقةَ تفكيري بمسائلَ تتعلَّقُ بالإسلام والمُسْلِمين، ومن ضِمْنها نَظْرَتي إلى محمَّدٍ وإلى القرآن. وقد ناشَدَني راعي كنيستي في المراحل الأُولى من نشأتي المسيحيَّة ألَّا أَقُوْمُ بشيطنة المُسْلِمين أو الإسلام، الأمر الذي كان له التأثير العظيم فيَّ آنذاك، وهو ما يزال يُؤَثِّرُ فيَّ حتَّى يومنا هذا.

إضافةً إلى وجود راعٍ حكيمٍ يساندني، كان لي أيضًا شرَفُ مُصادَقة صَديقَيْن مسيحيَّيْن (مُؤْمِنَيْن من خلفيَّةٍ مسيحيَّةٍ اسميَّة)، وقد يَسَّرَ

حضورُهما في حياتي الكثيرَ في رحلتي نحو الانتماء الصحِّيّ، وأشكرُ اللَّه دائمًا من أَجْلِهما. وبينما كنْتُ أنمو في مسيرتي الإيمانيَّة، قَدَّمَتْ لي كنيستي المحلِّيَّة الكثيرَ من الفرص لممارسة الخدمة المسيحيَّة وَفقًا لمواهبي، وقد تَعَمَّدْتُ في كنيستي المحلِّيَّة وأصبحْتُ عضوًا رسميًّا فيها. إضافةً إلى ذلك، عملْتُ خادمًا للشباب فترة ثماني سنوات، ثُمَّ قمْتُ بالتدريس في كلِّيَّة الكتاب المقدَّس التابعة للكنيسة، وأَقُوْمُ بالتدريس في كلِّيَّة اللاهوت المعمدانيَّة العربيَّة منذ عام ٢٠١٢م. وقد طلبَتْ منِّي كنيستي أيضًا في أثناء هذا الوقت أنْ أَكُوْنَ من بين رعاتها المحلِّيِّين. وغنَيٌّ عن القول، إنَّني شعرْتُ بالترحيب والأمان في مجتمع الإيمان الخاصِّ بي، ولذلك استمتعْتُ دائمًا بشعورٍ بالانتماء وبحقيقة كوني جزءًا من الكنيسة، وما زلْتُ أَشْعُرُ بذلك.

أمَّا مع العائلة، فقد كانت تجربتي معهم من نَوْعٍ آخَر. وبَعْدَ بذْلِ الكثير من الجهد في محاولة إبقاء إيماني الجديد «بعيدًا عن الأضواء»، اضطررْتُ في نهاية المطاف إلى مواجهة والدَيَّ علنًا بشأن إيماني الجديد هذا، ولكنْ من دِوْن محاولة مهاجمتهما أو مهاجمة معتقداتهما الإسلاميَّة. ورغم أنَّني كنتُ دائمًا أَحْسبُهما منفتحَيْن دِيْنيًّا، فإنَّني ما زلْتُ أَشْعُرُ أحيانًا بعدم الأمان عندما أُشارِكُهما عن إيماني بالمسيح. فقد علَّمَني راعي كنيستي أنْ أَكُوْنَ محترَمًا في تَعَامُلي معهما، وقد حاولْتُ ترجمةَ هذا الاحترام على أرض الواقع قَدْرَ المستطاع.

سعيْتُ إلى تقليل النزاعات غير الضروريَّة مع عائلتي محاولًا استنساخ تجربتي بالانتماء إلى الكنيسة، التي كانت سَلِسةً وسهلة. ومع ذلك، وفي ظلِّ ثقافة الشرف والعار السائدة في لبنان، كانت العائلةُ الأوسع حاضرةً على الدوام للضغط على والدَيَّ لحثِّهما على إعادتي إلى الإسلام، ولكنْ ليس باستخدام العنف أبدًا. لَمْ يَكُنِ الطريقُ مُعَبَّدًا على الدوام، ولكنَّني تَمَكَّنْتُ أخيرًا من مشاركة عائلتي بشأن إيماني، ربَّما بأَفْضَل طريقةٍ صحِّيَّةٍ يُمْكِنُني تَخَيُّلها.

وتُؤَثِّرُ تجربتي الشخصيَّة الصحِّيَّة اليوم في علاقتي بعائلتي المُسْلِمة وبالكنيسة. ومع ذلك، فلا أستطيعُ أنْ أفترضَ أنَّ مواقفَ باقي تلاميذ المسيح وخبراتهم تشبه قِصَّتي هذه. فماذا إذًا عن باقي تلاميذ المسيح؟ هل تعكسُ قصصُهم الإيمانيَّة قِصَّتي الشخصيَّة الإيجابيَّة؟ إنَّ الدافعَ الرئيس وراء هذا الكِتَاب هو اكتشاف ما إذا كان من الممكن تعميم قِصَّتي بطريقةٍ منهجيَّةٍ لفهم قصصِ الآخَرين من تلاميذ المسيح.

وللأسف، فإنَّ معظمَ تلاميذ المسيح ممَّن أَعْرِفُهم لَمْ يختبروا مِثْل هذه الشهادة الإيجابيَّة في ما يتعلَّق برحلة إيمانهم. فمثلًا، أَعْرِفُ امرأةً مُؤْمِنةً بالمسيح من خلفيَّةٍ إسلاميَّةٍ كان شقيقُها أيضًا مُؤْمِنًا بالمسيح من خلفيَّةٍ إسلاميَّة، وقد كان يشاركها ببشارة الإنجيل لسنواتٍ عدَّة. ولكنَّ أخاها هذا رَكَّزَ إلى حدٍّ كبيرٍ على الدفاعيَّات (الحجج المتعلِّقة بكيفيَّة الدفاع عن الإيمان المسيحيّ في مواجهة الإسلام)، وقد كان أيضًا جَدَليًّا وهجوميًّا جدًّا تُجَاه الإسلام إذ رسَمَ صورةً عن الإسلام بأنَّه كاذبٌ وشيطانيّ.

أدَّى هذا النهجُ الخشن تُجَاه الإسلام والمُسْلِمين إلى جَعْلِ هذه السيِّدة التي أَعْرِفُها ترفضُ رسالةَ الإنجيل فترة سبع سنواتٍ بَعْدَ سماعها رسالة الإنجيل للمرَّة الأُولى. وفي الوقت ذاته، دَفَعَها هذا النهجُ الهجوميُّ إلى طرْحِ أسئلةٍ جديدةٍ وجريئةٍ بشأن الإسلام، وجَعَلَها تبحثُ أكثر في الإيمان المسيحيّ. وبَعْدَ سنواتٍ قليلة، ظَهَرَ لها المسيحُ في حُلْم، ما جَعَلَها تثقُ بالمسيح وتصيرُ من أتباعه. وقد ظلَّتْ مُؤْمِنةً سِرًّا لأطول فترةٍ ممكنةٍ قَبْلَ أنْ تنضمَّ في نهاية المطاف إلى إحدى الكنائس الإنجيليَّة.

ثُمَّ بدأَتْ إحدى النساء في الكنيسة بالاهتمام بهذه السيِّدة وبتَلْمَذَتِها ولكنْ بأسلوبٍ دفاعيٍّ وهجوميٍّ تُجَاه الإسلام والمُسْلِمين. أضِفْ إلى ذلك حقيقةَ أنَّ هذه المُؤْمِنة بالمسيح من خلفيَّةٍ إسلاميَّةٍ كانت تُشاهدُ محطَّةً تلفزيونيَّةً مسيحيَّةً اتَّبعَتْ بدورها نهجًا هجوميًّا تُجَاه الإسلام والمُسْلِمين.

وقد أدَّى هذا المزيج المتفجِّر من تأثيرات التلمذة إلى جَعْلِ هذه المرأة تتبنَّى هي أيضًا موقفًا دفاعيًّا وهجوميًّا تُجاه دِيْن الإسلام وأُمَّة المُسْلِمين.

فضلًا عن ذلك، فقد طَلَبَ منها راعي كنيستها أنْ «تخلعَ حجابَها» ليَكُوْنَ ذلك علامةً على تَخَلِّيها عن دِيْنها «الشرِّير» القديم وأنَّها أصبحَتْ من أتباع الدِّيْن الصالح الجديد. ولكنَّها رَفَضَتْ «خلْعَ حجابِها»؛ إذ إنَّ هذه الخطوة كانت ستثيرُ الكثيرَ من الأسئلة ولها تَبِعاتٌ واعتباراتٌ خطيرةٌ لدى عائلتها، وكان من المحتمل أنْ يكتشفوا حينها أنَّها أصبحَتْ «مسيحيَّة». وقد خلَقَ هذا الأمرُ توتُّرًا وبرودةً في العلاقة بينها وبين كنيستها المحلِّيَّة.

ولكنْ سرعان ما عَلِمَتْ عائلةُ هذه السيِّدة بأمرِ إيمانها الجديد، ما دَفَعَ أحدَ أفراد أُسْرَتها إلى تهديدها بالقتل وإجبار بقيَّة أفراد العائلة على نَبْذِها. ونتيجةً لذلك، انتهى بها الأمرُ بالشعور بعدم الانتماء إلى الكنيسة وإلى عائلتها في الوقت ذاته. وكان شقيقُها المُؤْمِن بالمسيح من خلفيَّةٍ إسلاميَّةٍ يَسْكُنُ في لبنان، وعَلِمَ بحالها وقام بترتيب سَفَرها إلى لبنان مع طفلَيْها؛ إذ إنَّ زوجَها رَفَضَ إيمانَها رَفْضًا قاطِعًا. وهكذا وجدَتْ هذه السيِّدةُ نَفْسَها محاصَرَةً ما بين علاقتها بالكنيسة وعلاقتها بعائلتها المُسْلِمة. يبدو أنَّ معظمَ التوتُّر في علاقات هذه السيِّدة كان نابعًا من نَظْرَتِها الخاصَّة الهجوميَّة تُجاه الإسلام والمُسْلِمين.

ويا للأسف! إنَّ قِصَّةَ هذه السيِّدة التي أَعْرِفها ليست جديدةً ولا غريبةً عن مسامعنا. فهناك عددٌ لا يُحصَى من القصص المشابهة، وربَّما مرَرْتَ أيُّها القارئ العزيز بمحنةٍ مماثِلة! وبوصفي أحدَ تلاميذ المسيح ، فقد سمعْتُ الكثيرَ عن قصصٍ مماثِلةٍ من مُؤْمِنين بالمسيح من خلفيَّةٍ إسلاميَّة. كيف يُمْكِنُ لهذه السيِّدة التي أَعْرِفُها ولآخَرين غيرها أنْ يحافظوا على علاقاتٍ صحِّيَّةٍ تَرْبطُهم بعائلاتهم وبالكنيسة، وأنْ يحافظوا على أمانتهم لهُوِيَّتهم «في المسيح»؟ سأشيرُ ضِمْن مادَّة هذا الكِتَاب إلى أنَّ جزءًا مهمًّا من الإجابة يتعلَّقُ بوُجهات نَظَرِنا الشخصيَّة بشأن محمَّدَ والقرآن.